

## حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة



وهم الضربة الجوية " الحاسمة " وتجهيز مبارك كئانب ( 4 - 5 )

بقلم: رائف محمد الويشى

24 أكتوبر 2009

تناولنا في الحلقة الأولى الموقف العام للقوات المصرية والإسرائيلية على جانبي القناة قبل الحرب .. وتناولنا في الحلقة الثانية مجموعة القرارات الكارثية العسكرية التي اتخذها السادات في مركز القيادة العامة أثناء الحرب وهو غير المؤهل لذلك .. تناولنا في الحلقة الثالثة مجموعة القرارات الكارثية التي اتخذها السادات على طاولة المفاوضات مع اليهود بعد وقف المعارك وما أدت إليه من أضرار بالأمن القومي المصري بأكثر مما اتخذته من قرارات أثناء المعارك ..

نتناول اليوم في الحلقة الرابعة موضوعا هاما آخر أقبل عليه السادات ، شغل ومازال يشغل عقل الباحثين وهو اختيار الفريق حسنى مبارك قائد القوات الجوية في حرب 73 كئانب له؟! ..

**ربما يكون من الأفضل أن نبدأ حلقتنا بمجموعة من الأسئلة التالية :**

- هل كان السادات صادقا عندما قال أنه اختار مبارك كئانب له بسبب دور القوات الجوية الحاسم في حرب أكتوبر؟ ..
- هل نتجنى على السادات وندعى أنه لم يكن صادقا في كلامه لأن الضربة الجوية كانت محدودة النتائج جدا ومغامرة كبيرة قياسا بنتائجها المتوقعة؟ ..
- هل يتهمنا البعض بالجهل إذا قلنا أن الضربة الجوية المصرية كانت نفسية فقط لإرضاء الشارع وليست ميدانية ومن باب فعلنا بهم كما فعلوا بنا؟ ..
- هل أنجزت الضربة الجوية المصرية في 73 ما نسبته 1% مما أنجزته مثلتها الإسرائيلية في 67؟ ..
- ألم تبيين نتائج حرب الاستنزاف أنها كانت عبارة عن غارات من الطيران الإسرائيلي على مراكز القوة المؤثرة في الجيش المصري وهي ترتيبا قوات الدفاع الجوى أولا ومراكز الصاعقة ثانيا وقطع المدفعية ثالثا؟ ..
- إذا كان الدفاع الجوى المصري هو الأخ الأكبر لعملية العبور ، حيث احتضن كل إخوته في صدره وتحت " مظلته " وتقدم بهم ونفذ ما هو مطلوب كما توقع المختصون وكما حدث فعلا ، ألم يكن سلاح المهندسين هو مفاجأة حرب 73؟ ..
- ألم يذكر ديفيد اليعازر - رئيس الأركان - في مذكراته أنه سأل وزير دفاعه - ديان - قبل الحرب عن إمكانية عبور المصريين للمانع المائي ، فرد عليه باطمئنان بأنهم في حاجة إلى سلاحى المهندسين الأمريكى والسوفيتى معا لإنجاز العبور؟ ..
- ألم يكن سلاح المهندسين هو السلاح الوحيد الذي يتواجد قاداته الكبار في الخطوط الأمامية وأسماء الشهداء من قاداته تثبت ذلك؟ ..
- ذكر السادات أنه كان يريد نائبا له من أبطال العبور ، ألم يكن سلاح المهندسين بما يتوافر من أفراد من كفاءة علمية تحتاجها مصر وما قدم من عمل ومن شهداء يستطيع توفير ذلك؟ ..
- هل أضع السادات فرصة ذهبية لتقديم رجل عسكري مهندس يفكر بطريقة علمية ويكون كمرحلة انتقالية لدخول الديمقراطية الحقيقية؟
- من هم القادة الحقيقيون الذين بنوا الطيران المصري بعد النكسة؟ ..
- لماذا اختار السادات هذا الضابط ليكون نائبا له رغم ما عرف عنه من استخدامه " الوشاية " بزملائه منذ صباه من خلال التقارير الأمنية التي لم يطلبها أحد منه ، ورغم أنانيته الشديدة التي كانت شائعة ، وبلغت منه الآن مبلغا؟ ..

حسنا .. إنني أناشد كل المختصين المحايدون أن يدلوا بدلوهم في هذا الشأن .. أعرف أن أبواق دعاية مبارك ستتهم كل من يقترب من الإجابة على تلك الأسئلة بأنه خان للوطن ، لأن القائد الذي يدفع لهم قد أصبح هو الوطن والوطن قد ذاب في جسده .. سنحاول رغم تلك التهم الجاهزة أن نقدم الإجابة على تلك الأسئلة :

**\* إذا كان " القياس " يعتبر أحد مصادر القضاء الشرعي والفصل في المنازعات ، فإننا لا بد أن نذكر هنا الضربة الجوية الإسرائيلية في 5 يونيو 1967 كي نقيس عليها ، نستطيع على أية حال معرفة نتائجها سريعا ومن خلال حادثتين فقط ، وهما ما يلي :**

#### الحادثة الأولى :

صدرت من الفريق عبد المنعم واصل في كتابة " الصراع العربي الإسرائيلي ، مذكرات وذكريات " في ص 129 حيث كان حينها برتبة عميد وقائدا للواء 14 المدرع المستقل وكان يقف مع 28 عميد ولواء من قادة الجيش في التاسعة إلا الربع صباح 5 يونيو في طابور التشريرات في مطار تمادا انتظارا لوصول طائرة المشير عامر وشاهد الضربة الجوية على المطار .. أخرج العميد واصل ورقة من جيبه - بعد أن شاهد حجم الدمار وطريقة التنفيذ - وكتب فيها " قامت الحرب ، خسرنا الحرب " !! ..

#### الحادثة الثانية :

صدرت من الجنرال عزرا وايزمان رئيس عمليات الجيش الإسرائيلي في 1967 والأب الروحي للطيران وابن شقيق حايم وايزمان أول رئيس لإسرائيل ، فقد اتصل في الثانية والنصف ظهر يوم 5 يونيو بزوجه " ريم أشفرس " التي كانت مع شقيقتها - زوجة ديان وزير الدفاع - في روما وأخبرها أن الحرب " انتهت " وطلب منها العودة !! .. انتشرت القصة على نطاق واسع داخل إسرائيل وجرى فيها تحقيقات بزعم أن وزير والدفاع ورئيس العمليات قد أخرجوا زوجتيهما إلى أوروبا وقت الحرب هربا من قصف الطائرات العربية المتوقع على تل أبيب .. عزرا وايزمان - الطيار السابق في الجيش البريطاني - كان قد أخذ في 1958 نماذج الضربة الجوية الإنجليزية على مصر في 1956 ودرب عليها الطيارين لمدة سنوات متواصلة وأجرى عليها تطويرا كبيرا ناتج من ظهور ذخيرة جديدة ..

قام الطيران الإسرائيلي بتنفيذ الضربة الجوية في 5 يونيو 1967 وعلى جميع المطارات المصرية في تمام الساعة 8.45 صباحا وعلى أربع موجات استمرت لخمس ساعات وربع متواصلة دون انقطاع وشملت جميع مطارات مصر وطالت حتى تلك التي كانت بعيدة في الصعيد ومطروح ..

كانت الموجة الأولى مكونة من 195 طائرة واستمرت حتى العاشرة - أي لمدة ساعة وربع - وشملت 7 مطارات وكانت مهمتها ضرب الممرات باستخدام قنابل خاصة شديدة الانفجار والانتشار تسمى " ديورن ديل " .. الموجة الثانية بدأت في العاشرة واستمرت ساعتين وكانت مكونة من 165 طائرة وشملت 11 مطارا .. الموجة الثالثة والرابعة انتهتا في الثانية ظهرا وأخرجنا الطيران المصري من المواجهة ..

النتيجة على الأرض هي تدمير القاذفات المصرية بنسبة 100 % والمقاتلات بنسبة 90 % وبلغت في تحديها أنها كانت تمر فوق الهدف المطلوب قصفه من ثلاث إلى خمس مرات لتتأكد من تدميره .. أما الأثر في القيادة العسكرية المصرية فقد كان بمثابة " شاكوش " ثقيل الحجم على رأس القيادة المصرية جعلها " تطب ساكت " وتصدر قرارا كارثيا بالانسحاب من سيناء في الخامسة من مساء اليوم التالي ..

**\* الضربة الجوية المصرية : بدأت في الثانية من ظهر 6 أكتوبر 1973 وكانت بقوة 220 طائرة ومكونة من موجة واحدة وانتهت بعد ربع ساعة وكانت على أهداف محددة في سيناء فقط وعددها سبعة ، وكما ما يلي :**

- مطارات المليز وتمادا ورأس نصراني
- عشرة مواقع صواريخ أرض جو طراز هوك
- مواقع مدفعية بعيدة المدى..
- ثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وإنذار..
- محطتا أم خشيب وأم مرجع للإعاقة والشوشرة في سيناء ..
- ثلاثة مناطق شئون إدارية ..

- النقطة القوية شرق بور فؤاد ..

لم توفر المصادر المستقلة أرقاما دقيقة عن حجم الخسائر التي تكبدتها إسرائيل من جراء تلك الضربة الجوية ، وهذا معناه في الأبدديات المصرية أن الأمر لم يكن أكثر من انتقام نفسي ولا أثر له ميدانيا .. كما أن إسرائيل التي ذكرت خسائرها في أكثر من منطقة لم تتوقف كثيرا أمام الضربة الجوية المصرية ويعنى ذلك أنها كانت محدودة التأثير ، رغم أنها ذكرت الضربات التي تلقتها من أسلحة مصرية أخرى ..

قبل بعض الكلام عن تدمير ممرات المطارات الثلاثة في سيناء ، لكن هل كان الإسرائيليون في حاجة إليها مع توافر الطائرة المقاتلة طويلة المدى لديهم والتي تنطلق من داخل إسرائيل؟! .. من ناحية أخرى فإن إسرائيل أصلحت في اليوم التالي تلك الأماكن التي قصفت باستثناء محطتي أم خشيب وأم مرجم فقد نقلنا إلى أماكن بديلة ..

ما هي الأهداف العسكرية المرجوة من قصف عشرة مواقع صواريخ أرض جو إذا كانت الضربة المصرية مكونة من موجة واحدة ولن تدخل سيناء مرة ثانية ، خاصة بعد استيقاظ الطيران الإسرائيلي وتواضع الطيران المصري أمامه؟! ..

هل كانت الضربة الجوية المحدودة النتائج بمثابة إيقاظ لديناصور من نومه ولا تعدو عن كونها فرقة إعلامية؟! .. ألم يكن الوادي والدلتا والصعيد في حاجة ماسة لتلك الطائرات لصد الاختراقات الجوية التي لا بد وأنها قادمة بدلا من الزج بها في مغامرة ليس لها الأثر الميداني على الأرض؟! ..

**\* إذا عدنا مرة أخرى إلى السادات ، فإن المراقب المجرد من التحيز يستطيع القول أنه قد مر بمراحل ثلاث خلال فترة حكمه ولم يكن كسابقه في كل مرحلة ، وذلك كما يلي :**

**المرحلة الأولى :** استمرت لمدة ثمانية أشهر وانتهت في 15 مايو 71 وكان السادات خلالها صورة فقط كرئيس ولكنه لم يكن مسيطرا على الأحداث وكانت لهجته عند الحديث هي " نحن " إلى أن تخلص من منافسيه باعتقالهم في السجن الحربي ..

**لقد أوشك السادات على الوقوع في قبضة وزير الحربية الفريق أول فوزي - وهو مع رياض والجمسى والشاذلي يعتبرون مفخرة ونجوم العسكرية المصرية الحديثة - بسبب توافر الأدلة على عمالته لأمريكا لدى بعض الأجهزة الأمنية المصرية ، لولا مساعدة ثلاثة من مناصريه ، وهم ما يلي :**

**\* أولا :** الفريق الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري آنذاك والذي تولى بقواته الحماية الشخصية للسادات وعائلته ..  
**\* ثانيا :** الفريق محمد أحمد صادق رئيس الأركان والذي كان على خلاف فكري مع الفريق أول فوزي وقد تمكن من السيطرة على الجيش ..

**\* ثالثا :** اللواء ممدوح سالم محافظ الإسكندرية وأشهر ضابط أمن دولة والذي وفر العناوين التي يتواجد بها معارضوا السادات مما سهل القبض عليهم ..

**المرحلة الثانية :** بدأت 16 مايو 1971 وفيها اشتد عود السادات فيها بعض الشيء ، لكنه كان ما يزال يعطى وزير الحربية الفريق صادق الشعور بأنه صاحب الفضل ووعده أكثر من مرة بأن يكون خليفته في الحكم إذا حدث وغادر الدنيا ( مذكرات الفريق صادق ) .. الواقع كما رواه الفريق صادق عدة مرات هو أن السادات وهو في أفضل أوقات التفاهم معه كان يخفى مسدسا تحت أوراق الجرائد أثناء الاجتماع به ..

في منتصف تلك المرحلة - 26 أكتوبر 1972 - تم عزل الفريق صادق ومنعه من الخروج من منزله وتولى الفريق أحمد إسماعيل مكانه وألقى في آخرها - 24 أغسطس 1973 - بالفريق الليثي ناصف من عمارة ستيرت تاور في لندن ( نفس العمارة التي واجهت سعاد حسنى فيها نفس المصير في يونيه 2001 !! ) ..

**المرحلة الثالثة :** بدأت مع حرب أكتوبر وفيها أظهر السادات عن شخصيته الحقيقية .. فرعون لا يتقبل وجهة النظر أو المناقشة ولا يريد إلا موظفين بجواره يأمرهم فينتساروا وهم في حالة هلع لتنفيذ أوامره ( زاد الوضع سوءا في حكم مبارك ولعل القارئ يتذكر قول يوسف والي في 2005 عندما قال بأن وزراء الحكومة المصرية عبارة عن سكرتارية عند مبارك ) ..

**يقول د. محمود جامع الطبيب الخاص للسادات وصديقه منذ طفولته في كتابه " عرفت السادات " ما يلي :**  
" من الطريف أن السادات كان يفكر في آخر أيامه أن يلبس لباسا فرعونيا ويركب مركبة فرعونية ويسير بها في شارع الهرم حتى منطقة الأهرامات وأبو الهول في مهرجان شعبي كبير ، كانت الفكرة في ذهنه تماما ولكنها لم تتم نظرا لاغتياله" .

بدأت تلك المرحلة بإخراج عدوه اللدود في الجيش وهو الفريق سعد الشاذلي في 12 ديسمبر 73 وهو الذي يعرف تفاصيل قرارات السادات الكارثية في غرفة العمليات ، وقد أخذ الشاذلي احتياطاته لعدم تكرار سيناريو الفريق الليثي .. واصل السادات طريقه في السيطرة على الحكم بقبضة حديدية بإخراج عدوه اللدود في السياسة وهو نائبه حسين الشافعي في 4 أبريل 75..

أصبح الملعب خاليا أمام السادات ، النصر في جيبه بعد أن أخرج الشاذلي خارج البلاد والشعب الذي لا يدري - وفي أحيان كثيرة لا يريد وبإصرار أن يدري - يصفق له والأموال العربي أخذت في التدفق على مصر ( وقد نسى منها مليون جنيه في حسابه الخاص في عام 75 !! ) ..

**يقول السادات نفسه عن تلك المرحلة الثالثة في كتابه الذي أصدره بعد الحرب - البحث عن الذات - ما يلي :**  
" حكمتك يارب .. كل الناس في العالم العربي بياخذوا دلوقتي أوامر مني ، أقول أي شيء فيقولون حاضر يافندم " ..

توافر في حسنى مبارك شرطان كانا دائما في عقل السادات عند اختياره للنائب الجديد له .. الأول هو أن يكون النائب من محافظته ( وهو ما أكده أيضا طبيبه الخاص وصديق طفولته د. محمود جامع ) .. الثاني هو الطاعة العمياء وكلمة حاضر يافندم مهما صدر له من أوامر ومهما ارتفع صوت السادات وصراخه في وجهه ، كان السادات مازال حتى تلك الفترة يعانى فعلا من حجم نائبه حسين الشافعي أمام المواطنين ( صرح د. جامع لإحدى الصحف الحزبية في مصر بأن السادات قال له في تلك الفترة وبأسلوبه القروي الذى عرف عنه " يا محمود أنا عاوز واحد يركب الحمارة وما ينزلش من عليها إلا بالأمر " !! ) ..

نشطت شعبة الرأي العام في أمن الدولة على إثر ذلك في القيام بحملة إعلامية مكثفة لتسويق " المنتج الجديد " الذي ظل لمدة أسبوع يظهر بجوار السادات غير مبتسم كصورة من صور الصرامة والحزم ، كما كان يظن .. لاحظ السادات ذلك وقام بتنبيهه بأنه الآن في العمل المدني ويحتاج إلى إظهار بعض الكياسة بابتسامة خفيفة أمام الكاميرات .. " حاضر يافندم " ، قالها مبارك برضى وسعادة لكنه نفذها بطريقته .. عاد السادات إليه مرة أخرى بعد أيام " إيه ده يا حسنى ، أنا قلت لك ابتسامة خفيفة ، خبير الأمور الوسط يا أخي !! " .. فقد السادات الأمل في نهاية المطاف في دفع نائبه الجديد إلى كيفية مواجهة الكاميرات ، أما نتيجة ذلك فكانت كما يعرف الناس وكما أطلقوا عليه ، ولم ينسها مبارك أبدا لشعب مصر ..

في آخر تلك المرحلة تنبه السادات أن مبارك لم يكن الشخص الذي كان يظنه فقد تمسكن ويحاول أن يتمكن .. هو نفسه فعلها مع عبد الناصر حتى تمكن من الحكم ، لكنها كانت ثقيلة على نفسه أن يفعلها مبارك معه لأنه كان قد وصل إلى درجة " المعلم الكبير " ، لم تغادر عقله حقيقة أنه هو من كان يسمى عبد الناصر بـ " المعلم " ، والحق أن عبد الناصر كان يستحقها بجدارة .. وضع السادات خيارات سريعة أمامه لأن الأمر لم يكن يحتمل التأخير وقد لعبت زوجته جيهان السادات دورا نشطا في ذلك .. كان هناك ثلاثة بدائل لشغل منصب النائب : عبد القادر حاتم ، كمال حسن على ، منصور حسن ..

**كان القرار جاهزا فى مكتب السادات قبل أيام من موته مباشرة .. " يا فوزي ( يقصد سكرتيه الخاص فوزي عبد الحافظ ) ، سيبه يحضر العرض وبعد كده خليه يروح ، خلاص مفيش شغل له عندي ، أنا كنت فكره موسى طلع فرعون " ..**

وجاء يوم العرض وما أدري الفراعنة بيوم العرض !! طبقا لرواية اللواء أحمد سرحان - مدير أمن رئاسة الجمهورية فى زمن السادات وأحد أشهر ضباطها - فإن السادات كان يجلس وسط حماية العشرات من أفراد ثلاث شركات أمنية أجنبية متخصصة ، أمريكية وكورية جنوبية وتايوانية ..

أخبر السادات - والراوي مازال سرحان - القناص الذي كان يقف أمامه بأن يقف وراء المنصة قائلا " روح قف ورا .. عبود سيأتي من الخلف " .. ربما كان السادات تحت تأثير المكالمة التليفونية التي كانت مع وزير داخلية - النبوي إسماعيل - فى اليوم السابق والتي تنبأ فيها النبوي بأن مقدم المخابرات الهارب عبود الزمر - والذي حاول اغتيال السادات فى مدينة المنصورة فى الأسبوع الذي سبق - قد يأتي من الخلف وسيكون جميع من فى المنصة " تحت رحمته " ، كما قال النبوي للسادات نسا ..

في عشرين ثانية ينتهي كل شيء .. أكثر من ثلاثين رصاصة من درجة قناص ممتاز ( بمعنى أن الواحدة منها تكفي للقتل ) تستقر في جسد السادات .. يقفز أحدهم ( عبد الحميد عبد العال ) إلى داخل المنصة كي يتأكد بنفسه ويضرب المقاعد بيديه ليصل إلى السادات .. يجد مبارك مختبئا تحت أحدها .. مبارك يستجدي ويصرخ " أنا في عرضك ، أنا ماليش دعوه والله ، أنا عبد المأمور ، أنا في عرضك ، أنا في عرضك ... " ، يخبره قائد المجموعة من خارج المنصة " إحنا مش جايبين لك .. إحنا عايزيين الـ..... " ..

**تنتهي حقبة السادات في حادث المنصة وغادر العرض الأرضى إلى عرض آخر لا تخفى فيه خافية .. إلا أنه ورغم رحيله فما زال الشارع العربي عامة والمصري خاصة يطرح ملفات أربعة تحتوى داخلها على أسئلة عديدة :**

1- ما هي حقيقة ما نشرته صحيفة الواشنطن بوست في 25 نوفمبر 1977 على لسان بوب ودوارد - أشهر صحفي في العالم وتعتبر مقالاته مصدر ثقة في كل الدوائر السياسية العالمية - ومفاده أن السادات كان يعمل لصالح وكالة المخابرات الأمريكية منذ الستينات؟! ..

وما هي حقيقة ما أخبر به الفريق أول محمد فوزي بأن المخابرات العامة - أثناء عمله مع السادات كوزير للحربية - رصدت اتصالات وطرفاها كانا منزل السادات وإسرائيل؟! ..  
وما هي حقيقة ما أشيع ومفاده أن الشخصية الخليجية المعروفة في عالم المخابرات ( ك أ ) هو من كان يقف وراء تجنيد السادات لصالح الـ C.I.A في ستينات القرن الماضي نظير 5 آلاف دولار في الشهر؟! ..

2- ما هو سر رحيل الرئيس عبد الناصر ولماذا رفضوا تشريح جثته للوقوف على حقيقة ما جرى؟! ..شهد عام 1970 قمة التعاون العسكري بين مصر والإتحاد السوفيتي حيث حضرت إلى مصر فرقة سوفيتية كاملة للدفاع الجوي ( الفرقة 28 من طراز سام 3 ) وطائرات بطايرها السوفييت ومحطات إنذار رادارية حديثة بأطقمها ، فهل كان هناك علاقة بين هذا وبين رحيل عبد الناصر؟! ..

من المعروف أن إسرائيل دفعت ثمنا باهظا في أعداد القتلى في سنوات الاستنزاف الثلاث ، فهل هناك علاقة بين وقف إطلاق النار في 8 أغسطس 1970 وبين رحيل عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970 ؟

3- من يقف وراء طرد الخبراء السوفييت في عام 1972 وفي فترة كنا أشد الحاجة فيها إليهم سياسيا وعسكريا؟! .. هل ما حدث كان يمثل طلبا أمريكيا لإثبات جدية الدور الذي يلعبه السادات منذ أن تم تجنيده في أواسط الستينات لصالح المخابرات المركزية؟! ..

4- إذا كان ما ذكره بوب وودرد صحيحا ، فهل حرب أكتوبر لا تخرج عن كونها مباراة مصارعة على الطريقة الأمريكية والمخرج كان في واشنطن؟! ..  
تبدأ المباراة بـ 1/1 صفر وتنتهي بـ 1/1 ، وتتخللها قصة الثغرة التي تعتمد السادات صناعتها بقراراته كشوكة في ظهر الجيش كي يجد مبررا أمام الشعب والجيش لمفاوضات مباشرة مع اليهود بحجة إنقاذ حياة عشرات الآلاف المحاصرين في الجيش الثالث ، ثم يتم تطوير تلك المفاوضات باتفاقية تمثل خنجرا على رقبة الأمن القومي المصري مع بنودها السرية التي تظهر بين حين وحين ، وهنا تنتهي قضية فلسطين والمقدسات بإخراج أقوى جيش عربي من الساحة ..

أليس هذا هو سيناريو تجنيد العملاء دائما : أموال ، منصب ، التوريط والحصول على أدلة بالصوت والصورة ، تقديم التنازلات اللامعقولة وإلا التهديد بكشف السر والقتل إذا رفض العميل تقديم التنازلات؟! ..

أليس هذا هو السيناريو الذي حدث لاحقا مع رئيس بنما مانويل نورييجا وعميلهم الذي خرج عن طوعهم فقبضوا عليه في 21 ديسمبر 1989 في غزو عسكري أمريكي وما زال قابعا حتى الآن في السجون؟! ..

أليس هذا هو نفس السيناريو الذي يحدث الآن مع محمود عباس ، والذي يحيط نفسه بمجموعة من الخونة الذين باعوا أنفسهم للصهاينة في مقابل مصالح شخصية؟! ..

**\* في لحظات كان مبارك ( ضابط الوشاية السابق ) قد قفز على سدة الحكم ، ودخلت مصر بقدومه في سنوات عجاف في عمق نفق مظلم لم ينتبأ به أسوأ المتشائمين .. لقد استفاد من خبرته الطويلة في اللعب على الحبل وأخذ قرارا منذ اليوم الأول له بأن يكون الملعب خاليا إلا منه .. أصبحت مصر في عهده غنيمة شخصية له وتوعد من تؤيده الجماهير بدفع الثمن ..**



**دفع الثمن غالبا المشير أبو غزالة** فقد منع من مغادرة مصر حتى في مراحل مرضه الأخيرة رغم مناشدة أصدقاء مبارك له من الرؤساء والملوك بالسماح بخروجه للعلاج ..  
كان مبارك يخشى من انتقام المشير له بإفشاء الأسرار التي يعلم تفاصيلها عنه ، خاصة الشخصية ومنها مقتل ممثلة مصرية معروفة في لندن حيث نفذ الحادث كي يبدو وكأنه انتحار ، بعد أن أقدمت على كتابة مذكراتها التي تقص فيها إجبارها على معايشة سيد القصر – صاحب الرغبات الشاذة – وإلا حرقها بماء النار ..  
كان – رحمه الله – في حاجة شديدة إلى تلك الضربة للرد بها على الأباطيل التي روجها مبارك باطلا عن حياة المشير الشخصية في شتاء 1992 عقب إقالته من وزارة الدفاع لتشيويه سمعته أمام الشعب ، لكن الدكتاتور الفاسد كان يقرأ عقل المشير جيدا ، لهذا السبب فقط كان خروجه للعلاج يعد ضمن الممنوعات ..  
( صرح المهندس حسب الله الكفراوي أكثر من مرة بأن المشير أبو غزالة – رحمه الله - حلف له على مصحف بأنه لم تربطه علاقة مع لوسى آرتين أو غيرها طوال حياته إلا زوجته السيدة أشجان ) ..

**دفع الثمن غالبا د. كمال الجنزوري** رئيس الوزراء الأسبق بعد أن كثر حديث الناس عن كفاءته وبعد أن تعددت وقفاته في التدقيق على عمليات بيع القطاع العام وضرورة إشراف الجهاز المركزي للمحاسبات عليها وإعطائه كافة الصلاحيات ، فقام إعلام مبارك بالتشكيك في كفاءته وأودع قيد الحجز المنزلي ، ثم خفف عنه بصورة محدودة ..

**دفع الثمن غالبا د. أيمن نور** لأنه تجرأ ووقف يواجه مبارك في الترشيح الرئاسي في 2005 ، فقد أعتقل وضرب من بلطجية النظام وأجبر على تناول أدوية الأمراض العقلية في السجن الذي دخله مظلوما ..

**يدفع الثمن الآن د. أحمد زويل** بالتلميح في فساد ذمته المالية لتشيويه سمعته أمام الشعب ، بعد انتشار الأنباء عن ترشحه للرئاسة وتقف مكانته الدولية حائلا أمام مبارك في التحرك بحرية ضده كما فعل بمن سبق ..

**أما الشعب المصري فإنه يدفع الثمن الأعلى عقابا له على عدم الولاء الذي لم يعطه أبدا لمبارك ، هذا الولاء الذي يعتبر أساس الشرعية عند القائد النزيه والمحترم :**

ثروات مصر تنهب أو تبدد ، الشعب يهان في أقسام الشرطة ويعذب في المعتقلات ، أرضه الزراعية ومياهه تسمم ، الفقر والبطالة والجوع أصبحت من أجدديات حياته للسيطرة عليه عملا بقول الفراعنة " التجويع من أجل التركيع " .. الفول الذي كان طعام الطبقتين المعدمة والفقيرة أصبح طعام الطبقتين المتوسطة والغنية .. أصوله وشركاته التي بناها من عرقه تباع بثمن بخس لمجموعة من الواجهات ، أرضه - ومنها تلك التي دفع الأبطال الدماء الغزيرة لاستردادها في سيناء وخليج السويس - تباع بثمن بخس إلى فئران السفينة .. شبابه يأسون وهم إما في الداخل يطحنون بين فكي التطرف والدعارة ، أو في الخارج يموتون غرقا في المتوسط أو يذهبون إلى إسرائيل التي تحسن التعامل معهم إلى أقصى حد لأن الجيل القادم منهم سيكون هم قوات النسق الأول والثاني والثالث في الجولة القادمة مع مصر .. الهدف القومي الذي تلتف حوله الجماهير قد سرق والقيم الاجتماعية التي كانت أهم مكوناته تنهار وتحل مكانهما الدعارة والاحتيال والمخدرات والعنف وثقافة التسطيح وكرة القدم ...

إلى اللقاء في الحلقة القادمة ، إن شاء الله ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري – أمريكا

[elwisheer@yahoo.com](mailto:elwisheer@yahoo.com)

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

[www.thowarmisr.com](http://www.thowarmisr.com)